

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٣ / ٥ / ٢٠١٤ م

دروس من الإسراء والمعراج

أولاً - العناصر:

- ١- معجزة الإسراء والمعراج تكريم للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأمته.
- ٢- من الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج:
 - أ- الإسلام دين الفطرة.
 - ب- من بين الشدائد والمحن يولد الأمل.
 - ج- بيان فضل ومكانة نبينا (صلى الله عليه وسلم).
 - د- قوة الإيمان وأثرها في حياة المؤمن - أبو بكر الصديق نموذجاً -.
 - هـ- فضل الصلاة ومنزلتها.
 - و- مكانة المسجد الأقصى في الإسلام وواجبنا نحوه.
 - ز- من مشاهد الرحلة المباركة ودلالاتها.

ثانياً- الأدلة:

الأدلة من القرآن:

- ١- يقول الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].
- ٢- ويقول تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ

الْمَأْوَى * إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَى { [النجم: ١ - ١٨].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَأْنَاءً مِنْ خَمْرِ وَإِنَاءً مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اخْتَرْتِ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ...»
ثم ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) من لقيهم في السماوات حيث لقي في السماء الثانية ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء (عليهما السلام) وفي الثالثة لقي يوسف (عليه السلام) وفي الرابعة لقي إدريس (عليه السلام) وفي الخامسة لقي هارون (عليه السلام) وفي السادسة لقي موسى (عليه السلام)، حتى وصل إلى السماء السابعة يقول: «...ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَدَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ - قَالَ - فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِمَةً فَانزَلْتُ إِلَى مُوسَى -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ

ذَلِكَ فَأَيُّ قَدْ بَلَّوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبَّ خُفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَلَيَّ خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَلَيَّ خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَبِلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرُ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً. وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً - قَالَ - فَزِلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ» [صحيح مسلم].

٢- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظَعْتُ بِأَمْرِي [أَيِ اسْتَدَّ عَلَيَّ وَهَيْبَتُهُ]، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكْذِبِي فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): نَعَمْ قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِنَّهُ أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ قَالَ: إِلَى أَيِّنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ؟ قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلَمْ يَرِ أَنَّهُ يُكْذِبُهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): نَعَمْ. فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضْتُ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إِيَّيْ أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيِّنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفَّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاصِعٍ يَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَعْتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): فَذَهَبْتُ أَنْتَ، فَمَا زِلْتُ أَنْتَ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، قَالَ: فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظَرُ حَتَّى وُضِعَ

دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَعَتُّهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، قَالَ : وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتُ لَمْ أَحْفَظْهُ قَالَ :
فَقَالَ الْقَوْمُ : أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ [مسند أحمد].

٣- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ :
«الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى». قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ «أَرْبَعُونَ
سَنَةً ، وَأَيُّنَمَا أَذْرَكْتِكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ» [متفق عليه].

٤- وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَأَرْتَدُّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ
إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى
بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : لَيْنَ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ ، قَالُوا : أَوْ
تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ
فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ فِي غَدَوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ [المستدرک علی الصحیحین
للحاکم].

٥- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «لَمَّا عُرِجَ
بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا
جَبْرِيْلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَتَعَمَّوْنَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» [سنن أبي داود].

٦- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ
الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ
النَّاسُ يُطَوِّفُونَ بِهِ وَيَعْبُجُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا
خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» [صحيح البخاري].

ثالثًا - الموضوع:

من الألم يأتي الأمل، فبعد العام الذي عُرف في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن، حيث فقد النبي (صلى الله عليه وسلم) زوجته الحنون خديجة بنت خويلد (رضي

الله عنها) وعمه أبا طالب، ولاقى من الخلق ما لاقى فكان التكريم من الله تعالى له ولأمته حيث رفعه إلى مكان لم يصل إليه علم الخلائق، وهذه الرحلة المباركة ستظل مصدرًا يستلهم منه المسلمون الدروس والعبر، وتذكروهم دائماً بدورهم تجاه خالقهم وأمتهم، و تمنحهم من التكريم ما يجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

هذه المعجزة التي وقف أمامها العقل البشري عاجزاً، ليأتي القرآن الكريم معلناً أن الأمر يتعلق بقدرة الله تعالى الذي أسرى بعبد، فيقول الله عز وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1].

ومع دلالة هذه الرحلة العظيمة على التكريم للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأمته فقد كانت الدروس المستفادة منها جليلة القدر وعظيمة النفع:

ومن هذه الدروس العظيمة والمعاني الجليلة الإيمان بطلاقة القدرة الإلهية، التي لاتحدها حدود، و التي أسرت برسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرجت به إلى سدرة المنتهى مخترقاً الحجب، عبر السماوات السبع.

لم تستوعب عقول المشركين طلاقة القدرة الإلهية، إنهم يكذبون النبي (صلى الله عليه وسلم) منكرين أنه استطاع أن يذهب إلى بيت المقدس، ثم يعود ليصبح بين ظهرانيهم، ولم يلتفتوا إلى أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يقل لهم: سَرَيْتُ، وإنما قال: أُسْرِي بِي، فنسبوا الفعل إلى قدرة البشر فأنكروه، ولو ردوه إلى قدرة الله تعالى لوجدوا الأمر يسيراً، وإذا كان الإنسان اليوم قد استطاع أن يرتاد الفضاء، وأن يصل إلى القمر في جزء يسير من الزمن، وأن يعبر المحيطات، ويصنع المركبات الفضائية، أفيعجز من خلق الإنسان أن يُجري هذا الحدث العظيم لأكرم مخلوق (صلى الله عليه وسلم)؟! فعلى قدرة الفاعل يكون الفعل، كما أن جودة الصنعة تتوقف على قدرة الصانع، وفاعل المعجزة هو الله القادر على كل شيء.

إننا نتعلم من معجزة الإسراء والمعراج اللجوء إلى الله تعالى كل وقت، لا سيما وقت الشدة، وفي اللجوء إلى الله تعالى يجد العبد نفسه قد تعلق بأسباب القوة والعظمة فيرتقي ويرتفع ويسمو فوق كل شدة وكل محنة، فيخرج من نطاق قدرة البشر ليجد نفسه معاناً بقدرة رب البشر جل وعلا.

ومن الدروس المستفادة أيضاً من هذه المعجزة العظيمة أن الإسلام دين الفطرة، يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): " وفي ليلة الإسراء والمعراج تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين وهي أنه دين الفطرة. ففي الحديث: "...ثُمَّ أُتِيَ بِإِنَاءٍ مِنْ حَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جَبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ... " إن سلامة الفطرة لب الإسلام، ويستحيل أن تُفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة عليل القلب، إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة لاتسيل إلا قدرًا وسوادًا، وربما أخفى هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية، ومظاهر مزوقة، ويوم تكون العبادات نفسها ستاراً لفطرة فاسدة فإن هذه العبادات الخبيثة، تعتبر أنزل رتبة من المعاصي الفاجرة.."، فالإسلام هو الدين الذي يلبي نوازع الفطرة في توازن بين الروح والجسد والمصالح و المفسد، و الدنيا و الآخرة، كما كان هذا من أهم أسرار سرعة انتشار الإسلام و إقبال الناس عليه على الرغم مما يوضع أمامه من عوائق وعقبات، قال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الروم: ٣٠]، ومن أهم معالم هذه الفترة سماحة الإسلام والبعد عن كل مظاهر العنف و التشدد، يقول الحق سبحانه وتعالى: { ...يُرِيدُ اللَّهُ يَكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يَكُمُ الْعُسْرَ... } [البقرة: ١٨٥]، ويقول الحق سبحانه: { ...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... } [الحج: ٧٨]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ » [صحيح مسلم].

ومن أهم الدروس المستفادة من هذه المعجزة العظيمة والرحلة الجليلة هو أن المحن تتبعها المنح، وأن وقت اشتداد المحن هو بداية الفرج، فهذا رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) يعاني من أهل مكة ما يعانيه من الصدِّ والإعراض والإيذاء والتنكيل، ويخرج لأهل الطائف فيرجع مُطَارِدًا داميَ القدمين، ثم يدخل مكة مرة أخرى في جوار كافر، ثم من بين هذه الشدائد والمحن يولد الأمل، فيستضيفه الله عز وجل في المأ الأعلى ليعلم النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الأرض وما فيها، ألا فلنتعلم كيف نرتقي فوق كل المحن متعلقين فقط بالرجاء في الله العظيم الكريم.

ففي وسط المحن واشتداد الكروب واتساع الخطوب ينبثق فجر الأمل ويحيي نور الحياة أمام كل مبتلي صبر على بلائه وتحمل هذه المحن مستعينًا بالله عز وجل، فهو سبحانه كاشف الضر ومفرج الكروب، يقول تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

ومن دروس الإسراء والمعراج بيان فضل نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذي يتجلى في هذا المؤتمر الأممي العظيم الذي مثَّلَ فيه كلُّ نبي أمته، إنه مؤتمر الأقصى الذي جمع الله تعالى فيه الأنبياء جميعًا، والعجب العجاب حين تأتي الصلاة فيتدافع الأنبياء أيهم يصلي إمامًا، فيأخذ جبريل (عليه السلام) بيد النبي (صلى الله عليه وسلم) فيقدمه معلنًا إمامة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لا لأتمته فقط وإنما للأنبياء والمرسلين أجمعين، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «...فَحَانتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفْتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ...» [صحيح مسلم]، وكان الله عز وجل بذلك يريد أن يرسل بلاغًا إلى عباده جميعًا أن دين الأنبياء واحد، فلقد جاء جميع الأنبياء بالتوحيد الخالص، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، فالأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد كما في الحديث: "الأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ أمهاتهمُ شتىٌ ودينهمُ واحدٌ" [صحيح البخاري].

وفي إمامته (صلى الله عليه وسلم) للأنبياء إشارة إلى أن أمر النبوة قد ختم، وأن هذا النبي الكريم هو خاتمهم، كما جاء في الحديث: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» [صحيح البخارى]، ولأن هذا حدث في المسجد الأقصى مهبط الرسالات ومبعث الأنبياء، ففي ذلك إشارة من الله عز وجل أنه وضع حماية المقدسات في الأرض في يد هذا النبي الكريم وأُمَّته.

ومن الدروس المستفادة من هذه الرحلة العظيمة كذلك بركة النصح للمسلمين، فبسبب نصح سيدنا موسى (عليه السلام) لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) خفف الله تعالى عنه وعن أُمَّته الصلاة المفروضة إلى خمس صلوات، يقول (صلى الله عليه وسلم): "...فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ..."، ألا فلندرك قيمة النصيحة وبركتها، ولقد لخص لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) الدين كله في النصيحة حيث يقول: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» [متفق عليه].

ومن أهم ما أثمرته هذه الليلة المباركة تلك الهدية التي رجع بها النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي الصلاة غرة الطاعات، ورأس القربات، وعماد الدين، وعصام اليقين، لقد أراد الله تعالى أن تُفرض الصلاة مباشرة دون وساطة جبريل (عليه السلام) أو غيره لتكون الصلة الدائمة بين المسلم وبين ربه، لقد رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذه الوسيلة التي يرتقي بها المسلم إلى مقابلة الله عز وجل، ولأجل أن الصلاة هي الصلة المباشرة بين العبد وربّه جعلها الله تعالى عماد الدين، يقول حجة الإسلام الغزالي (رحمه الله): "... وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره... " [إحياء علوم الدين]، وفي فرض الصلاة في هذه الليلة

دلالة على عظيم فضل الله تعالى على عباده، فقد انتهى الأمر بكونها خمساً في العمل وخمسين في الثواب، فهل هناك فضل ويسر أعظم من ذلك!! إن الله عز وجل يقول لنبية (صلى الله عليه وسلم) في نفس السورة - سورة الإسراء- : {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء: ٧٨، ٧٩]

ومن أهم ما يجب أن نتعلمه من هذه الحادثة أيضاً الإيمان المطلق بالغيوب التي أخبر عنها القرآن الكريم أو الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ومنها الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وجنة ونار، وميزان وصراط، وغير ذلك، فأبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إنما اكتسب لقب (الصديق) من هذا اليوم الذي بدت فيه قوة إيمانه ويقينه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم)، لقد هرع إليه المشركون وليس عندهم أدنى ريب أن هذا اليوم هو الذي سيشهد نهاية العلاقة بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر حين يبلغه الخبر، لكنهم وجدوا ما لم يتوقعوه، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنُ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ"، إن الإيمان بالغيب دليل على قوة التصديق وقوة اليقين، فما في الإيمان بالمُشاهد فرق بين مصدق وجاحد، فالإيمان بالغيب هو الذي يفرق بين المؤمن والكافر الجاحد، الكافر لا يؤمن إلا بما يراه أو يدركه بحواسه منتحياً إلى المادية البحتة، أما المؤمن فهو يصدق بكل غيب أخبر به القرآن الكريم وما ثبت في السنة النبوية الشريفة وما ذلك إلا لقوة يقينه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم).

و من أهم نتائج رحلة الإسراء والمعراج معرفة مكانة المسجد الأقصى في كيان هذه الأمة، إذ إنه مَسَرَى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعراجه إلى السماوات العلى، وكان القبلة الأولى التي صلى إليها المسلمون في الفترة المكية، ولا تشد الرِّحال بعد المسجدين إلا إليه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [متفق عليه]، وفي ذلك توجيه للمسلمين بأن يعرفوا منزلته، ويستشعروا مسؤوليتهم نحوه.

إن هذا الربط بين المسجدين - المسجد الحرام والمسجد الأقصى - ليشعر الإنسان المسلم أن لكلا المسجدين قدسيته، فهذا ابتداء الإسراء منه وهذا انتهى الإسراء إليه، وكأن هذا يوحي أن من فرط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرط في المسجد الحرام، إن معجزة الإسراء والمعراج بنبينا (صلى الله عليه وسلم) تجعل المسجد الأقصى أمانة في أعناق عموم المسلمين، لا يحل للجميع التهاون في حمايته ورعايته ودفع الأخطار عنه.

أما الهدف الأسمى من هذه الرحلة العظيمة فقد أفصحت عنه آيات القرآن الكريم، فالله تعالى يقول: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1]، فالهدف (.. لنريه من آياتنا..). وفي حديث القرآن عن المعراج يقول الله تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: 18]، فالله عز وجل أراد أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلبه ثقة فيه واستناداً إليه، ليزداد قوة في مواجهة العقبات التي تحول دون تبليغ رسالة الإسلام، لقد شاء الله تبارك وتعالى أن يُرِيَ نبيه (صلى الله عليه وسلم) صوراً لثواب الصالحين وعقاب العاصين في صور تنبئ عما أعدّه الله تعالى للفریقین، ومنها هذه الصورة التي تُنبئ عن قبح الغيبة وحرمتها وعاقبة أهلها: فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ

وَصُدُّوهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي
أَعْرَاضِهِمْ»، يا له من منظر فظيح ينبغي أن يستوعبه قوم لا عمل لهم إلا الوقوع في أعراض
الناس وانتقاصهم وتشويههم لأغراض دنيوية دنيئة، متناسين أن الله تعالى حرم الخوض في
الأعراض وجعل حرمتها كحرمة الكعبة، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمرنا بالإعراض عن
الطعن في الأعراض.

ومن المشاهد التي شاهدها النبي (صلى الله عليه وسلم) ما رآه من حال مَنْ يقولون ما لا
يفعلون، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «رَأَيْتُ
لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَجُلًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ:
هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا
يَعْقِلُونَ» [مسند الإمام أحمد].

ومسك الختام بهذه الرسالة التي أرسلها خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) لهذه الأمة،
فعن ابن مسعودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ
لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِي أُمَّتَكَ مِنْ مِي السَّلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ
الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيَعَانُ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» [سنن
الترمذي].

نسأل الله تعالى أن يعيد علينا وعلى الأمة الإسلامية هذه المناسبات وقد صرنا في خير
حال، وقد تحررت مقدساتنا، وتوحدت صفوفنا.

اللهم آمين